عربی مضامین

نظرة الكونفوشيوسية إلى الكون والإنسان

Confucian Ideology regarding Universe & the Human Being

د.إسماعيل مجيد*

ABSTRACT

Confucius was born on September 28, 551BC. He was a teacher, writer, politician, philosopher and ideologue of the ancient China. The philosophy of Confucius emphasizes personal and governmental morality, correctness of social relationships, justice and sincerity. He championed strong family loyalty and ancestor worship. He also recommended family as a basis for an ideal government. His thoughts received official sanction and were further developed into a system known as Confucianism. Confucius' principles found the basis of the common Chinese traditions, beliefs and culture. Confucianism is often followed in a religious manner by the Chinese, but the arguments continue over whether it is a religion or not. The opponents argue that its values are secular, therefore, it is not a religion, while its supporters argue that despite the secular nature of Confucianism, it is based on a worldview that is religious, and, thus, can rightly be called a religion. Confucianism discusses elements of the afterlife and views concerning Heaven, but it is relatively unconcerned with some transcendental matters, often considered essential to a religious thought.

This article provides an outlook of the Confucianism regarding the universe and the humanity and its comparison with the Islamic viewpoint of the same.

***Keywords**: Confucius; Confucianism; The Ideology of the Universe and Humanity; The Islamic Ideology; Morals*

* محاضر في قسم اللغة العربية ،جامعة اللغات الأجنبية شيآن ، الصين

إن الصين دولة ذات قوميات متعددة وتاريخ عميق، فكادت تنتقل الصين من نظام المجتمع البدائي إلى النظام العبودي حتى ظهرت هناك في أرض الصين فلسفة تمتاز بدراسة العلاقة بين العناصر الخمسة: المعدن والخشب والماء والنار والتراب، وبين "يين" و"يانغ" المؤنث والمذكر، وخاصة بالدراسة في طقوس "لي" يعني عبادة آلهة الأجداد، حيث أصبحت أهم ما يقوم به المرء.[1] فمن اتّبع هذه الطقوس فقد اتّبع قدرَ "السماء" والاعتدالَ، ومن خالف هذه الطقوس فقد خالف قدر "السماء" والاعتدال. فعندئذ ظهر حول هذه التقاليد جدل حول الألوهية واللاألوهية، وأما علاقة السماء بالإنسان، وعلاقة الآلهة بالإنسان، وعلاقة الواحد بالاثنين... فثار حول هذه الموضوعات الفلسفية جدال شديد.

ففي عصر الربيع والخريف سنة ٧٧٠ق.م – سنة ٤٧٦ق.م ظهر الجدال حول طاعة إله السماء وطاعة الإنسان، وحول العلاقة بين الإله والإنسان. وهذا الجدال قد متّ إلى الفلسفة والسياسة بصلة وثيقة. [2]

وقد ظهر في هذا العصر أيضا مدارس شتى تمتاز بآراء سياسية واضحة، مثل الكونفوشيوسية والطاوية، وليس من المستغرب أن نرى أن هذه المدارس ليست ديانة بالمعنى المعروف، بل هي مجموعة تعاليم وآراء فلسفية إنسانية يقوم أساسها على القواعد الأخلاقية والفضائل الطبيعية التي تؤيدها البراهين الحسية وتؤيدها العواطف النفسية. فقد بدأ الأشراف في هذه المدارس يربطون آلهة السماء بأباطرة الأرض، فبهذا تكونت نظرية الإله تدريجيا، ولكن السلطة ذات النفوذ قد احتكرت حقوقا متصلة بإله السماء.[3]

وبجانب هذه المدرس ظهرت في هذا العصر نظرة إلهية تدلّ على أن الأديان البدائية قد تطورت من الخرافات إلى عبادة الآلهة، كما شهدت الأساطير في الصين القديمة، فدلّ هذا على وجود عبادة القدماء للقوى الخارقة للعادة، وخيالهم في قهر الطبيعة. فقد ساهمت المدرسة الكونفوشيوسية في هذا المجال مساهمةً ما.

وأما الفلسفة الكونفوشيوسية التي أسست على فكرة المروءة رين وفكرة الأخلاق والنفس والإنسان فجذبت كثيرا من الناس إلى دراستها والقبول بها في حياتهم الروحية. لذلك يرى الماديون أنها من الفلسفات، بينما يرى عوام الناس أنها من الأديان.

وإذا فتحنا صفحات سجلات التاريخ رأينا بوضوح أن الفلسفة الكونفوشيوسية قد أثرت منذ آلاف السنيين مع دخولها في كل بيت من البيوت على أفكار الصينيين وأعمالهم ونظام حياتهم، فعلى الرغم من أن فيها منافع إلا أن أضرارها أكثر من تلك المنافع. فقد أدّى هذا التأثير وتغلغلهم فيها إلى وقوع كثير من الناس في الضلالة. ومع أن هناك أناسا يبحثون عن حقيقة الأمور ومصدر الكون، ولكنهم ما لبثوا أن رجعوا إلى أحوالهم الأولى، بسبب عدم وضوح فكرة الإله الحق في أذهانهم.

١– نظرة الكونفوشيوسية إلى الكون والإنسان:

١) حياة كونفوشيوس ومذهبه:

إن الكونفوشيوسية مذهب من المذاهب الفلسفية، وهي منسوبة إلى فيلسوف مشهور، وسياسيّ عظيم، ومتعصب شديدَ التعصب لنظام المجتمع العبودي، عاش في عصر الربيع والخريف، وقد ضحّى بحياته دفاعا عن النظام العبودي المتهدم، ألا وهو كونفوشيوس.[4]

قبل أن ندخل في صميم الموضوع تدعو الضرورة إلى أن نعرف نبذة عن حياة كونفوشيوس، وهو كونغ تشيو سنة ٥٥١ق.م– سنة ٤٧٩ق.م ولقب بجونغ ني، ولد في مدينة تشيويفو التابعة لإمارة "لو" المسّماة اليوم بمقاطعة "شاندونغ"[5]، فمات أبوه وهو في الثالثة من العمر. وكان فقيرا وحقيرا ولكنه مؤدب. وقد عمل في أوائل حياته خازنا في أحد المخازن وراعيا في أحد المراعي. وهو لم يجلس عند أستاذ معين.[6] وقد تتلْمذَ عليه عدد كبير من التلاميذ، وكان حوله ثلاثة آلاف تلميذ،

وألقى المحاضرات لهم، وكان كونفوشيوس مفكرا يميل إلى طبقة ملاّك العبيد حينذاك، وكان مؤسّسا لمدرسة الكونفوشيوسية، وقد صان النظام العبودي بما تأثر به من عقيدة طاعة القدر التقليدية ومن آراء سياسية محايدة. وقد صار"نبيا" في المجتمع الإقطاعي، فأثرت فكرته على كل مجالات حياة الصينيين الروحية.

قد ألّف كونفوشيوس كتبا كثيرة، وكان من كتبه المشهورة: الأصول الخمسة القديمة.[7] والكتب الأربعة الملحقة.[8] وتعتبر هذه الكتبُ التراثَ الفكري الحقيقي للصين في مجال الفلسفة والتاريخ والأدب والأخلاق.

وبفضل حاجة التعليم دوّن ونشر كثيرا من الكتب التراثية، ثم أدخل بعض أفكارها في مؤلفاته. فصارت فكرته في التعليم أفضلَ من حيث الضوابط لتربية الناس لدى الطبقة المسيطرة الإقطاعية، فلذا قدّسه الناس واعتبروه نبيا، وكانوا لا يعبدونه فقط، بل بنوا له أيضا معابد كثيرة في جميع أنحاء البلاد.

هذا وقد تناولتُ الفلسفة الكونفوشيوسية من جانبين هامين لا غير: النظرة إلى الكون والإنسان، وذلك لأن هاتين المسألتين محور الفلسفة الكونفوشيوسية، فإليكم الآن تفصيلا فيما يلي:

٢) نظرة الكونفوشيوسية إلى الكون:

كان الصينيون القدماء قبل ظهور نظرة الكونفوشيوسية يطلقون كلمة "السماء" على إله الكون والإنسان، ويطلقون كلمة "القدر" على القوة التي تسيطر على حياة الإنسان. ولكنهم لم يعطوا للسماء والقدر تعريفا كاملا ودقيقا، بل اقتصر تعريفهم للسماء على السماء التي يبصرها البصر، واقتصر تعريفهم للقدر على الذى يتعلق بالمصير فقط. وكانوا يشكّون في إلهية السماء وإرادتها وقدرتها، ويرون أن ليست للسماء قدرة على السيطرة على القدر.

وأما بالنسبة للقدر فيرون أن الإنسان لا يستطيع التخلص من القدر إذا أصابته المصيبة. ولم يشيروا إلى إلهية السماء بوضوح، لذلك أخذ كونفوشيوس هذه

الفكرة التقليدية، فيرى أن السماء لها صفة الإنسان وإرادته، وأنها إله الكون والإنسان، وأنها رب القضاء والقدر.[9] ويرى أن السماء ذاتَ الإرادة هي ذلك الرب الذى يعلّم الإنسان ويعذبه، كما قال: "إذا غضب السماء عليك فمن تدعو سواه؟"[10]

ولكنه عندما تحير في علاقة السماء بالقدر، يرى أنهما شيء واحد، وأنهما قوتان غيبيتان. كما قال: "إنه لا يريد أن يتحدث كثيرا، فسأل أحد تلاميذه لماذا لا تتحدث؟ إذا لا يتحدث فماذا نستفيد منه؟ فقال الأستاذ: هل تحدثت السماء؟ فالسماء تسير حسب الزمان فوجدت المخلوقات، هل تحدثت السماء؟"[11] ومعنى ذلك أن السماء ليست شيئا جامدا، بل أنها لا تتكلم مع أنها تقدر على الكلام، وأنها تلك الدافعة العليا لجميع المخلوقات. لذلك يزعم أن السماء لها صفة الإنسان وأن القدر له سلطة مطلقة لا يمكن أن يخالفها أحد.

وعندما تعارضت "السماء" وأمور الدنيا، جعلت الكونفوشيوسية أمور الدنيا فوق السماء، وأكدت أن النجاح رهن المساعي، وزعمت أنه يمتاز بخُلق السماء بالإضافة إلى اهتمامه بعمل الإنسان، ولكنه لما لم يتحقق شيء من آرائها السياسية، جعل قرارة الأمور هذه على القدر، فبهذا أنكرت قوة السماء ورفعت قوة القدر، وحلّ القدر محل السماء، وحدث ذلك عندما اضطربت قوة السماء واهتزّت، فرأت أن القدر هو تلك القوة الغيبية التي تحكم حياة الإنسان والمجتمع، وأنه لا يُقهر. وأن القدر في رأيها هو إرادة الإله التي تحكم على الأمور كلها، وأنه أيضا أمر حكام البلد، وله علاقة بالسعادة والشقاوة والممات والمحيا التي يتعرض لها الإنسان.[12]

ومع أن في الفلسفة الكونفوشيوسية فكرة إلهية السماء، وكأنها خالق إلا أن قوتها وقدرتها محدودة جدا، كما سأل تلاميذ كونفوشيوس أستاذهم عن الأرواح والممات فقال: "لم نقدر على خدمة الأحياء فكيف نقدر على خدمة الأموات؟ ولم نعلم الحياة فكيف نعلم الممات؟" [13]هذا الكلام يدل على أن هذه الفلسفة اهتمت

بأمور الإنسان لا غير.

لذلك، فأن الفكرة الميتافيزيقية عند الكونفوشيوسية ليست هي إلا لإفادة طبقة الحكام وللاطمئنان على أحوالهم في المجتمع، كما كان ينصح أتباعه بالابتعاد عن التفكير في ما وراء الطبيعة، وكُنْهِ الروح.

ولما جاء دور تلاميذ كونفوشيوس بعده زادوا على أساس فلسفته أفكارا كثيرة، مثلا: علم "المبدأ الكلي"، حيث يعتقدون أن هناك شيئا وُجد قبل السماوات والأرض، وأنه في المكانة العليا الأبدية، فسمي بـ"المبدأ الكلي".[14]

وفي أيام أسرة "هان" سنة ٢٠٦ق.م- سنة ٢٥م إن فكرة "إلغاء كل مدارس فكرية واحترام الكونفوشيوسية فقط" التي طرحها الفيلسوف دونغ تشونغ شو سنة ١٧٩ق.م – سنة١٠٤ق.م .[15] بعد اتخاذه فكرة الاتحاد عند الطاوية، قد وجدت قَبولا لدى الإمبراطور ودعمها، الأمر الذي أدّى إلى صيرورة الفلسفة الكونفوشيوسية فلسفة ذات نفوذ أعلى وسيطرة أشدّ على أفكار وأعمال الشعب الصيني، وحتى على اتباع الديانات الأخرى.

وأما في أسرة "سونغ" سنة ٩٦٠م – سنة١٢٧٩م بعد كونفوشيوس بزمن طويل، فلم يرض الكونفوشيوسيون عن فلسفة كونفوشيوس التي تهتم بما يتعلق بحياة الإنسان فقط، بل بدأوا يدرسون أيضا علم المبدأ الكليّ، الأمر الذي أدّى إلى تغطية الكونفوشيوسية بلباس الدين. وقد أنشأ هذه المدرسة الفيلسوفُ تشو دون يي سنة ١٠١٧م – سنة ١٠٧٣م على أساس فلسفة كونفوشيوس وبعض الأفكار من الفلسفة الطاوية، فيرى أن مبدأ العالم "تايجي"، وأنه ما لا شكل له ولا صورة، وسمّاه أيضا بـ"ما لانهاية له". ويرى أن كل الكائنات لا تخرج من العناصر الخمسة المعدن والخشب والماء والنار والتراب وأن هذه المبادئ لا تخرج من "يين" و"يانغ" المؤنث والمذكر وأن "يين" و"يانغ" لا يخرجان من "تايجي"، وأن "تايجي" هو مبدأ كل الكائنات، وأنه خالق كل شيء وأن ذاته عقلي. وكان "تايجي" إذا تحرك حدث منه

"يانغ"، وإذا بلغت هذه الحركة إلى الغاية سكن، فعند السكون حدثت "يين"، وإذا بلغ السكون إلى الغاية رجع إلى الحركة، وهكذا أن الحركة والسكون كل منهما أصل للآخر.[16]

ويرى أيضا أن الشيء إذا تحرك لا يسكن، وإذا سكن لا يتحرك مرة ثانية، وأما الإله فيكون في حركته سكون وفي سكونه حركة، يعني بالإله هنا "تايجي" الذي إذا تحرك حدث منه "يانغ" وإذا سكن حدث منه "يين". وإن "تايجي" هو أصل الكائنات، وليست في ذاته صفة السكون والحركة إلا في مبدئه الكلي، وهو الأول والآخر والحي والقيوم، وبيده المحيا والممات والحركات والسكنات. وقال فيلسوف آخر يسمّى بتشو سي.[17] : "إن "يانغ" متحرك و"يين" ساكنة، وأما "تايجي" فليست في ذاته صفة الحركة والسكون إلا في مبدئه الكلي، فلا يُرى هذا المبدأ بل يُدرك من حركة "يين" و"يانغ" فقط، فبمبدأ الحركة يتحرك فيحدث بها "يانغ"، وبمبدأ السكون يسكن فيحدث به"يين"." [18]

فمعنى القول أن ليس لـ"تايجي" حركة ولا سكون، ولكن لكون تضمّنه مبدأ الحركة والسكون، أصبح للهواء أيضا حركة وسكون، أما حركة الهواء والسكون فيترابطان ترابطا لا يتحرك بلا سكون ولا يسكن بلا حركة، فيكون في سكون "يين" جذر حركة "يانغ"، وفي حركة "يانغ" جذر "يين"، وباستمرار دوران الحركة والسكون خُلقت العناصر الخمسة والسماوات والأرض وما بينهما.

ويرى الكونفوشيوسيون أن "تايجي" هو المثل الأعلى لكل الكائنات، وأن تشكل هذه الكائنات وتطورها يرجع إلى "تايجي". وقد طرح هؤلاء الكونفوشيوسيون نظرية معرفة حقائق الأشياء بمراقبة مبادئها، ويرون أن هذه المعرفة لا تكون إلا بقلب الإنسان، ذلك لأن لكل شيء مبدأ فيعرف هذا المبدأ من ذلك الشيء نفسه، ثم يراقب مبدأ آخر غير معروف على أساس ذلك المبدأ الأول المعروف، حتى يبلغ الإنسان إلى غاية المبادئ.[19]

ويرون أيضا أن معرفة مبدأ شيءٍ مَا هي الخطوة الأولى للمعرفة، وأن "تايجي" هو مبدأ كلّي تخضع له كل المخلوقات، وإذا عرف الإنسان هذا المبدأ الكلي انشرح صدره. (20)

فإذن المراقبة تشمل على كل المبادئ من "تايجي" إلى ورقة عشب أو شجرة واحدة، وأن غاية المراقبة هي لمعرفة مبادئ الأشياء، والتي لا تنحصر في الأشياء الموجودة في عالم الطبيعة فقط، بل يشمل على مبادئ الأخلاق أيضا، ويعني بذلك تهذيب النفس وتقوية الأخلاق.

هذا وقد عرفنا أن كانت الفلسفة الكونفوشيوسية وضعية وليست وحْياً أو ديانة، ولم يكن كونفوشيوس نبيا من الأنبياء ، بل هو عالم ومصلح وضع القوانين والنظام الذي يتعلق بالحياة الإنسانية. وكانت فلسفته لخدمة طبقات الحكام ولإفادتهم، ومع أن كلامه يمتاز بالإيجاز والدقة، ولكنه لا يمكن أن يُتوَّج بالوحي. وأن فلسفته غالبا لها علاقة مع الأخلاق وتزكية النفس.

٣) نظرة الكونفوشيوسية إلى الإنسان:

رأى كونفوشيوس أن الإنسان يجب عليه أولا أن يطيع والديه والأباطرة، وأن يعدل بين الآخرين ويرحمهم. وقد طرح فكرةَ طبقة الملاك النبلاء، حيث إن السلطان هو سلطان دائما والعبد هو عبد دائما، وهكذا الوالد والولد. وقد جعل هذا النظام أيضا أساسَ العلاقة بين أفراد الأسرة، فعلى سبيل المثال في ذلك علاقة الوالد بولده، وذلك بأن يستر الولد على تصرّفات والده السيئة، وكذلك الوالد يستر على سرقة ولده، ومثل هذه المعاملات بينهما هي الخلق الحسن الفاضل، كما قال كونفوشيوس: "إن الوالد يستر على تصرفات ولده السيئة، وكذلك الولد عليه أن يستر على تصرفات والده السيئة، فبهذا يظهر العدل".(21) وهكذا يتعامل السلطان والعبد فيجوز للسلطان أن يخطئ ولكن لا يجوز للعبد أن يخطئ، وذلك لأن شخص السلطان يناسب مسماه، وأن شخص العبد يناسب مسماه، فكل منهما في مكان

خاص لا يتجاوزه إلى غيره.

ويرى أن السبب الذي يؤدي إلى فساد المجتمع هو أن كلا من السلطان والعبد والوالد والولد قد لا يبقى في مستواه كما ينبغي.[22]

ويرى أن علاقة الطبقات بين الناس في المجتمع العبودي معقولة، فقال: "إنما لا يتغير العقلاء في كونهم في الدرجة العليا والسفهاء في كونهم في الدركة السفلى، فيتغير كل شيء إلا العاقل والسفيه".[23] "وإن كل من فوق الدرجة الوسطى يمكنه أن يحاور من في الدرجة العليا، وأما كل من في الدركة السفلى فلا يمكنه أن يحاور من في الدرجة العليا".[24] ويرى أيضا: "أن العبقري في الدرجة العليا"،[25] ومعنى ذلك أن في المجتمع نوعا من الناس، قد جاؤوا إلى هذه الدنيا حاملي العلم و المعرفة بدون مشقّة التعليم و التجربة، وهؤلاء هم الأشراف، وأن هناك أيضا آخرين من الناس قد ولدوا أمّيّين جاهلين لا يعلمون شيئا إلا بالتعليم والتجربة، فيختلف تعليمهم وتربيتهم باختلاف المعارف الموجودة فيهم عند الولادة.

وعلى هذا الأساس يرى كونفوشيوس أن الناس ينقسمون إلى ثلاث طبقات: العليا، والوسطى، والسفلى، فيمكن لمن في الطبقة العليا والوسطى أن يتلقى المعارف العالية العميقة، وأما الذين في الطبقة السفلى فلا يمكنهم أن يتلقوا هذه المعارف لأنهم لم يخلقوا إلا للخدمة. كما قال: "يتعلم العاقل.[26] ليحب الناس، ويتعلم السفيه ليُستخدَم".[27] معنى ذلك أن العاقل يستطيع أن يصلح بين الناس، وأما السفيه فدائما مع مثيله يعارض العاقل و يخالف الطريق المعتدل، والعاقل لا يتعصب في الجدال، بل يميل إلى السلم في المجتمع، ويتخذ الموقف الحيوي غير المتجمد، وأما السفيه فلا يفعل مثل ما يفعله العاقل، والعاقل يبدأ بالأول وينتهي بالآخر، وأما السفيه فلا أمانة له في قوله ولا في عمله، ويرى أن الرجل الخاص والعام والعاقل والسفيه قد خلقوا من أوّل ولادتهم.

ويرى كونفوشيوس أن العاقل والسفيه لا يستويان، وأن الذكر والأنثى لا

يستويان، وأن الحر والعبد لا يستويان. وأن العاقل نفسه يتنور في المجتمع، وأما السفيه فنفسه سيئة. وأن العاقل يجعل فرح الآخرين فرحه، ونجاحهم نجاحه، وأما السفيه فيحب أن ينمّ بين الناس ويفتري عليهم، كما قال: "إنما يصعب على الإنسان أن يتعامل مع المرأة والسفيه". (28)

ويميّز كونفوشيوس بين الرجل الكامل الخلق والرجل الناقص الخلق وقال: "إن الرجل الكامل الخلق يطلب الفضيلة، والرجل الناقص الخلق يطلب الرذيلة. والرجل الكامل يفكر في اجتناب الرذيلة وأداء الواجب، والرجل الناقص يفكر في كسب المنافع، والرجل الكامل واقف على الإصلاح، والرجل الناقص واقف على الإفساد".(29) ويحدد الرجل الفاضل في المجتمع فيقول: "الرجل الفاضل لا يتحيز ولا يتعصب".(30)

وأما الذين جاءوا بعده فيرون أن لكل إنسان نفسين: نفسا حقيقية ونفسا طبيعية، فأما النفس الحقيقية فهي حسنة وكاملة، وهي تحتوي على المروءة والصدق والأدب والعقل، وأما الثانية فهي إما طيبة وإما سيئة، لذلك لا يخلو الإنسان السفيه من النفس الطيبة ولا يخلو الإنسان العاقل من النفس السيئة، وما دام الإنسان يتمسّك بنفس طيبة لا تخرج أفكاره وأقواله وأعماله من مقاييس الأخلاق، لا تزيد ولا تنقص.(31)

وكما كان هناك نَفَس صافٍ ونَفَس عكرٌ، يرى أن نفْس الإنسان انقسمت إلى النفس الطيبة والنفس السيئة، فإذا كان الإنسان قد صفا نفَسه يكون نبيّا أو وليا، كأنّه الدرّ في الماء الصافي، وإذا كان الإنسان قد عكر نفَسه يكون سفيها أو عاصيا، كأنّه الدرّ في الماء العكر. لذلك إذا كان الإنسان قد زكّى نفسه وطهّر قلبه من الأوساخ كما يُصقّل الدرُّ في الماء العكر فسيتحول السفيه أو العاصي إلى نبي أو ولي، وقد يحدث التغير على الخلق، فإذا أصاب حدوث التغير فسيصبح الرجل السيّئ وليا كما أن الدر في الماء العكر إذا صقله فسيظهر جماله ورونقُه.(32)

فإن كل ما ورد في كتب كونفوشيوس دلّ بوضوح على أن نظرته للإنسان تعود إلى الاعتراف بالطبقات، وأن الناس ليسوا في مستوى واحد رغم أنه يرى أن الإنسان مفطور على الخير، كما قال: "إن الناس يولدون خيرين متساوين بطبيعتهم، وكلما شبوا اختلف الواحد منهم عن الآخر تدريجيا وفق ما يكسب من عادات." [33]وذلك لأن معرفته بالإنسان ما زالت متأثرة بالمجتمع الذي عاش فيه، وأن هذه المعرفة غير معقولة، لأن نفس الإنسان غير مطلقة، قد يرتكب الجرائم من له خلق حسن، وقد يعمل الخير من له خلق سيئ، وكذلك إن موقفه من احتقار المرأة غير معقول.

٢- نظرة الإسلام إلى الكون والإنسان:

١) نظرة الإسلام إلى الكون:

إن ذات الله تعالى وحدها توصف بالوحدانية والأحدية، فالوحدانية تعني عدم التكثر في الذات فليس هناك ذاتان، وإنما هو ذات واحدة، وأما الأحدية فتعني عدم الكثرة والتميز في الصفات بالنسبة للذات، وإنما الكثرة من ظاهر آثار الصفات،.[34]

وهو ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.[35] وهو ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.[36]

﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾.[37]

وذلك لأن الله سبحانه وتعالى هو الموجد للكون، وله الأسماء الحسنى، والصفات العليا التي هي من مقتضيات كمال ربوبيته وعظمة ألوهيته. وهذه الصفات قد تفرد بها الخالق، فلا يشاركه فيها شريك، لأنه وحده هو الرب والإله، فلا رب غيره، ولا إله إلا هو.

وهذا كما ورد في الآيات الكريمة والسنة المطهرة، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾.[38]

ويقول: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾.[39]

ويقول: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾.[40]

وقد قيل للنبي ﷺ صف لنا ربك؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾.[41]

فمعرفة الله روح الإسلام، لأنه هو التفكير الذي حث عليه القرآن، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾.[42]

حيث إن الإنسان إذا عرف ما حوله من الأشياء وفكر فيها فلا شك في أنه يصل إلى معرفة من أين جاءت هذه الأشياء، وهذا يعني أن الإنسان يعرف أن الله ما خلق الأشياء إلا ليتمتع بها الناس، وما خلق الإنس إلا ليعرفوا الله.

وقد طرح الإسلام كلاما واضحا في أن معرفة الله هي أسمى المعارف وأجلُّها، وهي الأساس الذي تقوم عليه الحياة الروحية كلها. فأما وسائل المعرفة فلا تخرج من العقل والنظر فيما خلق الله من أشياء، ولا من معرفة أسماء الله وصفاته.[43]

فالمعرفة بطريق العقل لا تتم إلا بوظيفة، وهذه الوظيفة هي: التأمل والنظر والتفكير،[44] والإسلام أراد للعقل أن يتحرر من عقاله، ويفيق من سباته، فدعا إلى النظر والتفكير وعدّ ذلك من جوهر العبادة. كما قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.[45]

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾.[46]

والذين يجحدون نعمة العقل، ولا يستعملونه فيما خلق من أجله، ويغفلون

عن آيات الله هم موضع التحقير والازدراء، والله سبحانه وتعالى يعتب عليهم، فيقول: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾.(47)

﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.(48)

والإسلام حين دعا إلى التفكير، ورحب به، إنما أراد أن يكون ذلك في دائرة نطاق العقل وحدود مداركه.

فدعا الإسلام إلى النظر فيما خلق الله من شيء: في السماوات والأرض وفي الإنسان نفسه وفي الجماعات البشرية، ولم يحظر عليه إلا التفكير في ذات الله، لأن ذات الله فوق الإدراك البشري، والقرآن الكريم مليء بمئات الآيات الداعية إلى النظر في مجالات الكون الفسيحة وآفاقه الرحبة التي لا تحد بحد، ولا تقف عند نهاية، فيقول عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾.(49)

وما أوسع الدنيا التي دعا الإسلام إلى التفكير فيها، وسعتها ليست بشيء في جانب سعة الآخرة، وما أحسن هذه المعرفة، فإنها فريدة لا يوجد مثلها في الأديان الأخرى أبدا.

وأما الوسيلة الأخرى التي اتخذها الإسلام لتعريف الناس بالله، هي عرض أسماء الله الحسنى وصفاته العليا.

"فالأسماء والصفات هي الوسائل التي تعرّف الله بها إلى خلقه، وهي النوافذ التي يطل منها القلب على الله مباشرة، وهي التي تحرك الوجدان، وتفتح أمام الروح آفاقا فسيحة تشاهد فيها أنوار الله وجلاله." (50)

هذه الأسماء هي التي ذكرها الله سبحانه في قوله:

﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾.[51]

وهي التي أمرنا أن ندعوه بها:

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾.[52]

فهذه الأسماء التي تُفتح آفاقا واسعة من المعرفة بالله إذا فهمها الإنسان، وأدرك معناها، وانفعلت بها نفسه، واتخذها نبراسا، فإنها تكشف له عن أكبر حقيقة من حقائق هذا الوجود.

فالله سبحانه وتعالى منزّه عن كل ما يوصَف به البشر من صفات، حيث إنه يخلق ما يشاء "فلا يجوز عليه شيء مما يجوز على الأجسام إذا فعلت شيئا مما تقدر عليه، من المباشرة بمحال القدرة، واستعمال الآلات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب،"[53] كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.[54] وأنه قدر الأشياء في الأزل، وأنه لم يصرح في القرآن الكريم بأنه خلق الأشياء بالعقول المرتبة، حيث يعقل العقل الأول فيظهر منه أوّل الأعداد، ويعقل العقل الثاني ... إلخ، كذلك أنه خلق – كما وضح لنا في محكم التنزيل – الكائنات كلها من الجن والإنس والسماوات والأرض وما بينهما بقوله كن فيكون، ولم يتوسل في خلقه بأحد من مخلوقاته.

ونحن نرى أنه لا يمكن أن نشرح صفات الله وخلقه بالفلسفة الكونفوشيوسية، لأن الكونفوشيوسية قد أنكرت وجود الإله الحق، بل نرى أن الوصول إلى معرفة خلق المخلوقات أمر فوق منال العقل البشري، وتعجز عنه طموحاته، ومع أن الإنسان يحاول دراسة الأمر من حوله، ويبحث عن إدراك المجهول من آفاق المادة إلا أن هذه الجهود لا طائل وراءها، وذلك لأن الإنسان قاصر عن بلوغ بعض معالم الحقيقة الكبرى، كما قال عز وجل: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾.[55] والله خلق كل

المخلوقات من الأصل الواحد المتكافىء وهو قانون الله أو كلمة "كن"، يقول عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.(56)

٢) نظرة الإسلام إلى الإنسان:

موقف الإسلام في نفس الإنسان على أساس ما جاء في القرآن الكريم.

إن الإسلام يعتمد في إصلاحه العام على تهذيب النفس الإنسانية قبل كل شيء، وقد عرفنا أن الفطرة الإنسانية بريئة وحسنة، حيث يرى أن فطرة الإنسان الخيرة لا تعني أنه ملاك لا يحسن إلا الخير، بل معنى هذا أن الخير يتواءَم مع طبيعته الأصيلة وأنه يميل إليه وإلى العمل به كما يميل الطير إلى التحليق إذا تخلَّص من قيوده وأثقاله.(57)

وكذلك أن الإسلام لم يقتصر على القول بأن طبيعة الإنسان خيرة وطيبة فقط بل نجد في القرآن الكريم أربع مواضع تبين مستويات النفس: النفس المطمئنة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾.(58). والنفس اللوامة في قوله تعالى:﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾.(59). والنفس الأمارة بالسوء في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.(60)والنفس الملهمة في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾.(61)

ورسالة الإسلام هي إعطاء المساعدة الكاملة للإنسان، كي يدعم فطرته، وقد وصف بأنه دين الفطرة الخالصة من الشوائب جمعاء كقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.(62) ويدل هذا بوضوح على أن ضوابط الإسلام في نفس الإنسان ليست صادرة من عقل الإنسان بل من الإله الحق، ﴿أَلَا

يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾.(63)

فإن بر الوالدين في الإسلام هو تلك الفضيلة التي تلي عبادة الله تعالى، وهو واجب في إطار صلة الرحم عموما. وإنه يطلب إلينا تقديم الوالدين على سواهما: فالإنفاق مثلا يجب أن يذهب إليهما قبل الآخرين، والرحمة يجب أن تتجه إليهما قبل غيرهما، والتواضع معهما يجب أن يكون أكمل وأبلغ، والدفاع عنهما يجب أن يكون أشجع، والإيثار لهما يجب أن يكون أشمل وأدوم، والتضحية في سبيلهما يجب أن تكون أهون على النفس، وأقرب إلى القلب.

وواضح أن الإسلام يخص الوالدين وذوي الرحم بهذه الدرجة الرفيعة من التكريم بسبب الرابطة الحميمة التي تربطنا بهم، رابطة الدم والعصب. فإذا كان الإسلام قد أكد على وجوب الالتزام بالفضيلة، وشدد بقوة على وجوب مراعاتها تجاه الوالدين وذوي الرحم، فمعنى هذا بوضوح أنه عليها بالنسبة للقطاع الأكبر من الناس أن نلتزم بها.(64)

وأما النصوص التي تفيد هذا الوجوب والتشديد فكثيرة. قال عز وجل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾.(65)

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.(66)

فالقرآن الكريم ينهى عن التفوُّه بأي لفظ للوالدين من شأنه أن يمس الوالدين، كقوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.(67)

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم

بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[68] فالقرآن الكريم يعلّم المسلم أن يصاحب والديه في الدنيا مصاحبة معروفة حسنة وبخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة، حتى ولو كانا مشركين، ولكن لا يجوز له أن يتبع سبيلهما.[69]

وفي القرآن الكريم امتدح الله عز وجل يحيى عليه السلام لبره بوالديه: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾.[70] وفيه أيضا أن عيسى عليه السلام اعتبر أن بر الوالدين من نعم الله عليه، ومن وصايا الله له: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾.[71] ولم تشأ إرادة الله أن يمتد الأجل بوالدي نبينا ﷺ حتى نرى أسمى وأنبل صور البر بالوالدين مجسدة في سلوكه الشريف. ومع ذلك فإن أقواله وتعاليمه لأصحابه وللمسلمين تنطق بتقديره الرفيع لهذه الفضيلة الإسلامية الأساسية، وحديثه ﷺ عن أولي الناس بالبر معروف ومشهور، والأولويات فيه واضحة: الأم، ثم الأب، ثم الأقرب فالأقرب.[72]

وهكذا دعا الإسلام المسلم إلى أداء حقوق الوالدين المادية التي فرضها الشرع عليه فرضا ملزما يعاقب تاركه، وتتجاوز حدود الحقوق المستحقة للوالدين الحقوق المادية بمزيد من الطاعة والاحترام والعطف والرعاية، وهذه هي الفضيلة الحقة.

يرى الإسلام أن الخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين، وهو على التحقيق شطر الدين وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين، وهو الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن، فإنه يرى أن الأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين، وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى الموقَدة التي تطلع على الأفئدة، فلذا يحتاج العبد إلى علاجها وإصلاحها، فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾.[73]، وإهمالها هو المراد بقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.[74]

ولذلك أمر الإسلام بأن يجاهد الإنسان نفسه حتى لا تميل مع الهوى وتضل

طريق الرشاد، وجعل الجنة جزاء من يعمل ذلك، فجاء في القرآن الكريم: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾.(75)

كما قال الرسول ﷺ: "المجاهِد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل."(76)

فمنزلة الإنسان في الإسلام متساوية، وأنها بنت على الإيمان والتقوى، كما قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.(77)

وأن نعرف أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان ليكون خليفة له في الأرض، فأودع في أصل تكوينه العقل ليتميز عن سائر المخلوقات، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.(78)

وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.(79)

وقد دلت هذه الآيات على أن الإسلام قد كشف عن حقيقة طبيعة الإنسان بدقة وأن هذه الطبيعة ليست هي إلا طبيعة خيرة، وهي لم تصدر من عقل الإنسان أو من أية فلسفات مصنوعة بل من خالق الكون والإنسان، وهو الله سبحانه وتعالى.

ومن مبادئ الإسلام السامية أن جعل الناس متساوين أمام القانون دون محاباة لأحد أو تمييز لفرد على آخر بسبب العرق أو الجنس أو المنصب أو الدين، لأن القانون في الإسلام شريعة الله التي يجب أن تكون لها السيادة المطلقة على جميع الناس لقوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.(80) ويقول جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ

ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾.(81)

ولذلك غضب النبي عليه الصلاة والسلام على أُسامة عندما طلب منه أن يشفع للمخزومية التي سرقت لأن ذلك ظلم لكرامة الإنسان وخروج عن قوام المساواة. فقال عليه الصلاة والسلام: "أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب فقال يأيها الناس إنما ضل من كان قبلكم إنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها".(82)

هكذا المساواة في الإسلام، وأنه أعطى للبشرية مبدأ عظيما ونموذجا ممتازا ليس له مثيل في التاريخ ولم يكن موجودا في الحضارات والفلسفات الأخرى، حيث حرص كل الحرص على تحقيق المساواة بين الناس، لا فرق بين الشرفاء والناس العاديين، ولا بين العبيد والسادة أمام الله.

وأن الإسلام صرح بوضوح أن فطرة الإنسان خيرة، لا يعني هذا أنه ملاك لا يحسن إلا الخير، بل معنى هذا أن الخير يتواءم مع طبيعته الأصيلة(83)، فلم يقتصر الإسلام على القول بأن طبيعة الإنسان خيرة فقط، بل قد وردت النصوص الصريحة في القرآن في عدة مواضع تبين مستويات النفس.

الهوامش والإحالات

1) تاريخ الفلسفة الصينية، رن جي يوي، دار الطباعة الشعبية، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٤م، ص: ٦٨/١.

2) تاريخ الفلسفة الصينية، شياو جيه فو ولي جينغ تشيوان، دار الطباعة الشعبية، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٢م، ص: ٢٧/١.

3) المرجع ال سابق، ص :٢٨/١.

4) المعجم المحيط الصيني، لجنة تأليف المعجم، دار النشر للمعاجم بشانغهاي، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٨٥م، ص: ١١١٩.

5) هي: اسم المقاطعة، تقع في مجرى النهر الأصفر الأسفل في شرق الصين. المعجم المحيط الصيني، ص :٧٨٤.

6) المعجم المحيط الصيني، ص: ١١١٩.

7) هي: كتاب الوثائق التاريخية، وكتاب القصائد والشعر، وكتاب التبدلات، وكتاب القداس والحفلات، وحولية الخريف والربيع.

8) هي: الحوار، والمعرفة الكبرى، والاعتدال، وآثار منغ تسي.

9) شياو جيه فو ولي جينغ تشيوان، تاريخ الفلسفة الصينية، ص: ٧١.

10) كونفوشيوس، الحوار، ص: ١٤٨.

11) المصدر السابق، ص: ٢٤٣.

12) شياو جيه فو ولي جينغ تشيوان، تاريخ الفلسفة الصينية، ص: ٧٣.

13) كونفوشيوس، الحوار، ص: ١٤٧.

14) المعجم المحيط الصيني، ص: ١٢١٢.

15) تاريخ الفلسفة الصينية، شياو جيه فو ولي جينغ تشيوان، ص: ٣٠١.

16) المعجم المحيط الصيني، ص: ٦٤٢.

17) تشو سي سنة ١١٣٠م – سنة ١٢٠٠م هو فيلسوف وعالم تربوي في عصر أسرة "سونغ" الجنوبية الملكية، وقد جاء بـ "فكرة إبقاء النظام السماوي وترك الشهوات النفسية".

18) الإسلام في الصين، تلخيص الأوراق التي قدمت في الاجتماع الإسلامي من خمس مقاطعة في شمال غربي الصين، ص: ٢٥٩ –٢٦٠.

19) المعرفة الكبرى، كونفوشيوس، دار الكتب التراثية بشانغهاي، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠١م، فصل استقصاء مبادئ الأشياء.

20) الإسلام في الصين، تلخيص الأوراق التي قدمت في الاجتماع الإسلامي من خمس مقاطعة في شمال غربي الصين، ص: ٢٦٤.

21) الحوار، كونفوشيوس، دار الكتب التراثية بشانغهاي، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠١م،

22) المصدر السابق، ص: ٤٤-٦٩.

23) المصدر السابق، ص: ١٧٣.

24) المصدر السابق، ص: ١٢٨.

25) المصدر السابق، ص:١١٥.

26) يعني الرجل الكامل الخلق والأدب والواسع الصدر.

27) الحوار، كونفوشيوس، ص: ٢٢١.

28) المصدر السابق، ص: ٦٩.

29) المصدر السابق، ص: ٥٥-٥٦.

30) المصدر السابق، ص: ٦٣.

31) الإسلام في الصين، تلخيص الأوراق التي قدمت في الاجتماع الإسلامي من خمس مقاطعة في شمال غربي الصين، دار الطباعة الشعبية بنينغشيا، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٢م، ص: ٢٦٩.

32) المرجع السابق، ص: ٢٧٠.

33) شرح الحوار، وانغ سينغ كانغ، دار الكتب التراثية بشانغهاي، الطبعة الثالثة، سنة ٢٠٠٣م، ص: ١٦٤.

34) حقائق الإسلام وأسراره،الإمام المحقق عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، دار التراث العربي، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٦م، ص: ٩٢-٩٣.

35) سورة الفاتحة، الآية ٢.

36) سورة الفاتحة، الآية ٤.

37) سورة البقرة، الآية ١٦٣.

38) سورة الحديد، الآية ٣.

39) سورة القصص، الآية ٨٨.

40) سورة الرحمن، الآية ٢٦-٢٧.

41) سورة الإخلاص، الآية ١-٤.
42) سورة البقرة، الآية ١٦٤.
43) العقائد الإسلامية، السيد سابق، دار الكتاب العربي بيروت،لبنان،الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٥م، ص :١٩ .
44) المرجع السابق، نفس الصفحة.
45) سورة يونس، الآية ١٠١.
46) سورة سبأ، الآية ٤٦.
47) سورة يوسف، الآية ١٠٥.
48) سورة الملك، الآية١٠-١٢.
49) سورة البقرة، الآية ٢١٩-٢٢٠.
50) السيد سابق، العقائد الإسلامية، ص: ٢٤.
51) سورة الإسراء، الآية ١١٠.
52) سورة الأعراف، الآية ١٨٠.
53) تفسير الكشاف، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٧م، ٣٤/٤.
54) سورة يس، الآية ٨٢.
55) سورة الإسراء، الآية ٨٥.
56) سورة النحل، الآية ٤٠.
57) الفكر الأخلاقي، محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٠م، ص: ١٣٦.
58) سورة الفجر، الآية ٢٧-٣٠.
59) سورة القيامة، الآية ١-٢.
60) سورة يوسف، الآية ٥٣.
61) سورة الشمس، الآية ٧-٨.
62) سورة الروم، الآية ٣٠.
63) سورة الملك، الآية ١٤.

64) الفضائل الخلقية في الإسلام، الدكتور أحمد عبد الرحمن إبراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٩م، ص: ١٣١.

65) سورة البقرة، الآية ٢١٥.

66) سورة الإسراء، الآية ٢٣.

67) سورة الإسراء، الآية ٢٣.

68) سورة لقمان، الآية ١٥.

69) تفسير الكشاف، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ٣/٥٠٠-٥٠١.

70) سورة مريم، الآية ١٤.

71) سورة مريم، الآية ٣٢.

72) الفضائل الخلقية في الإسلام، الدكتور أحمد عبد الرحمن إبراهيم، ص: ١٣٤.

73) سورة الشمس، الآية ٩.

74) سورة الشمس، الآية ١٠.

75) سورة النازعات، الآية ٤٠-٤١.

76) سنن الترميذي، الكتاب فضائل الجهاد، رقم ١٥٤٦.

77) سورة الحجرات، الآية ١٣.

78) سورة البقرة، الآية ٣٠.

79) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

80) سورة المائدة، الآية ٨.

81) سورة النساء، الآية ٥٨.

82) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن الحجر العسقلاني، ك، الحدود ٨٦ باب ١٢ دار الفكر ١٢/٨٧.

83) الفكر الأخلاقي، محمد عبد الله الشرقاوي، ص:١٣٦.

****